﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾

[الأعراف: 204]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المناسبةُ بين تعظيمِ القرآنِ وهديِهِ، وبين تلاوتِهِ وتدبُّرِهِ

اعْلَم أنَّهُ تعالَى لَمّا عَظَّمَ شَأْنَ القرآنِ بقولِه: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: 203] أرْدَفَهُ بقَوْلِه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[1]، فوجب "التزامه والإصغاءُ لتلاوته والتَّدبُّر في معانيه، وتعظيمه، كتعظيم اللّٰه تعالى في ذكرِهِ وتسبيحِهِ وتحميدِهِ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ﴾: من السَّماعِ، وهو إيناسُ الشَّيْءِ بالأُذُنِ مِنَ النّاسِ وكُلِّ ذي أُذُنٍ، تَقولُ: سَمِعْتُ الشَّيْءَ سَمْعًا، والسَّمْعُ: الذِّكْرُ الجَميلُ، يُقالُ: قد ذَهَبَ سَمْعُهُ في النّاسِ، أيْ: صيتُهُ[3].

2) ﴿وَأَنصِتُواْ﴾: الإنصاتُ يَدُلُّ على السُّكوتِ، وأنْصَتَ لاسْتِماعِ الحَديثِ، ونَصَتَ يَنْصِتُ، وفي كِتابِ اللّٰه تَعالَى: ﴿وَأَنصِتُواْ﴾، والإنصاتُ على هذا أقوى من الاستماع، وفيه من الاستعدادِ للقبول، أو من الخشوعِ - ما ليس في الاستماع الذي يتحقَّقُ بمجرَّدِ الاستعداد لوصول الصَّوت إلى الأذن[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأمرُ بقراءةِ القرآنِ باستماعٍ وإنصاتٍ لنيلِ ما فيها من الرَّحمات

إذا قرئَ عليكم - أيُّها المؤمنون - القرآنُ فاصغوا له سمعَكم، لتتفهَّموا آياتِه، وتعتبروا بمواعظِه، وأنصتوا إليه لتعقلوهُ، وتتدبرَّوه؛

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 439/15.
(2) الزّحيليّ، التّفسير الوسيط: 759/1.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سمع).
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، اللّسان، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نصت).

ليرحمَكم ربُّكم باتِّعاظكم بمواعظِه، واعتباركم بعبرِه، واستعمالكم ما بيَّنَهُ لكم ربُّكم من فرائضِه في آيِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قولِه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾، وأثرُها في المعنى:

الواو عاطفةٌ، ويكون ما بعدها داخلًا في ما أمرَ به الرَّسولُ ﷺ أن يقولَهُ للمشركين، وذلك إعادَةُ تَذْكيرٍ لِلْمُشْرِكينَ تَصْريحًا أو تَعْريضًا بألّا يُعْرِضوا عَنِ اسْتِماعِ القرآنِ وبِأنْ يَتَأمَّلوهُ ليَعْلَموا أنَّهُ آيَةٌ عَظيمَةٌ[2]، ويجوزُ أن تكونَ استئنافيَّةً، ويكون الخطابُ للمؤمنينَ، وفيه حسنُ تخلُّصٍ من مخاطبة المشركين والرَّدِّ عليهم تُجاه موقفهم من القرآنِ، إلى الحديثِ عن نفسِه وعلاقتِه مع القرآنِ، إلى أثرِ القرآنِ في النّاس كافَّةً، وفي المؤمنين خاصَّةً، ثمَّ الانتقالُ إلى الحالِ الَّتي ينبغي أن يكونَ المؤمنون عليها عندما يقرأُ هذا القرآنُ؛ حتَّى يُرحموا، ويَفوزوا بهدايتِه ونورِه.

العطفُ والاستئنافُ إمّا لتحقيقِ البلاغِ، أو لبيانِ الخطابِ على التَّوالي

علَّةُ إيثارِ (إذا) دون (إنْ):

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أوثِر (إذا) دون (إن)، وتبدو فائدةُ (إذا) في تحقُّقِ ما بعده، ووقوعِ الفعل الماضي بعدَهُ يؤكِّدُ هذا، وفيه بشارةٌ بتحقُّقِ قراءةِ القرآنِ إلى قيامِ السّاعةِ، وإشارةٌ إلى فشلِ الكافرين الحاسدينَ الَّذين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التّوبة: 32]، وما نراهُ في عصرنا من تنوُّعِ إذاعةِ القرآنِ الكريم صوتيًّا شاهدٌ على ذلك، كما أنَّ (إذا) تشيرُ إلى الزَّمان، فهو ظرفٌ متضمِّنٌ معنى الشَّرط، وما بعده في محلِّ جرٍّ بإضافة (إذا) إليه، وفي ذلك إيماءٌ بشدَّةِ تعلُّقِ ما بعدَهُ به، فالمضافُ والمضافُ إليه كالكلمةِ الواحدةِ،

الملاءمةُ بين أداةِ الشَّرطِ وسياقه الدِّلاليِّ والزَّماني للتَّعبيرِ عن المرادِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 345/13.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 238/9.

وحرفُ (إنْ) يَدُلُّ على مجرَّدِ الاشتراطِ، ولا إشعارَ له بالزَّمانِ، كما يدلُّ على الشَّكِّ في الوقوعِ، فمخرجها الظَّنُّ والتَّوقُّع فيما يُخْبِر به المُخْبِر[1]، ومن اللَّطائفِ: (إنْ) لِلشَّكِّ معَ أنَّها جازِمَةٌ، وإذا لِلْجَزْمِ معَ أنَّها لا تَجْزِمُ، وقد أَلْغَزَ في ذلك الإمامُ السيوطيُّ، فقالَ[2]:

أنا إنْ شَكَكْتُ وجَدْتُمُوني جازِمًا *** وإذا جَزَمْتُ فإنَّني لَم أجْزِم

إيثارُ استعمالِ فعلِ (القراءةِ) دونَ (التِّلاوةِ):

القراءةُ أعمُّ وأشملُ من التِّلاوةِ، ولهذا ذُكِرَت في الآيةِ دونَ التِّلاوة

أوثرَ فعلُ القراءةِ دونَ التِّلاوة؛ لأنَّها تُستعمل في قراءةِ القليلِ والكثيرِ، سواءٌ أكان مكتوبًا أم غير مكتوبٍ، بصوتٍ أم بغيره، والتِّلاوة تستعملُ في ما يطولُ، ويكثرُ من الكلامِ للقراءةِ من مكتوبٍ بصوت، ويتسامحُ فيها، فتكونُ من غيرِ مكتوبٍ لكن بصوتٍ، ففعلُ القراءة في الآية أولى؛ لأنَّه أعمُّ[3].

سرُّ مجيءِ الفعلِ الماضي المبنيِّ للمفعولِ:

دلالةُ لفتِ الانتباهِ إلى المقروءِ، لا إلى القارئ

في قوله تعالى: ﴿قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ بُني الفعلُ ﴿قُرِئَ﴾ للمفعولِ؛ ليلفتَ الانتباهَ إلى الفعلِ، لا إلى الفاعلِ، فينبغي أن يكونَ تركيزُ العقلِ وتكريس الفكرِ في ما يُقْرَأ، لا في مَن يَقْرَأ، ومن شهدَ النّاسَ في عصرنا والتفافَهم حول المشهورين وانفضاضَهم من حول المغمورين؛ أدركَ ذلك.

نكتةُ وضعِ المُظهرِ موضعَ المُضمرِ في ذكرِ لفظِ ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾:

التَّنْويهُ بأمرِ القراءةِ الواعيَةِ المصغيَةِ، لتطلُّبِ الرَّحمةِ السّابغةِ

وَذِكْرُ اسْمِ القرآنِ إظْهارٌ في مَقامِ الإضْمارِ؛ لِأنَّ القرآنَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بواسِطَةِ اسْمِ الإشارَةِ فنُكْتَةُ هذا الإظْهارِ: التَّنْويهُ بهذا الأمْرِ، وجَعَلَ جُمْلَتَهُ مُسْتَقِلَّةً بالدَّلالَةِ غَيْرَ مُتَوَقِّفَةٍ على غَيْرِها، وهذا مِن وُجوهِ الاهْتِمامِ بالكَلامِ ومِن دَواعي الإظْهارِ في مَقامِ الإضْمارِ اسْتَقْرَيْتُهُ مِن كَلامِ البُلَغاءِ[4].

---

(1) المبرّد، المقتضب: 56/2.

(2) السّيوطيّ، الطّراز في الألغاز، ص: 46.

(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 38، 39، 75، والرّاغب، المفردات، ص: 168، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (تلو) و(قرأ).

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 239/9.

بلاغةُ جناسِ الاشتقاقِ في: ﴿قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾:

تجانسُ الكلماتِ والحروفِ فيه جمالٌ وكمالٌ، يبقى على مدى الدَّهْرِ

أمّا تلاؤمُ الكلماتِ والحروفِ؛ ففيه جمالُ المقالِ، وكمالُ الكلامِ، نحو قولِه تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: 24] ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ﴾ [النمل: 44] ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 84] ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ [الروم: 43] ﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ﴾ [يوسف: 19] ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ﴾ [الواقعة: 89] ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ۝٥٤﴾ [الرحمن: 54] ونظائرُها، ونلحظُ في هذا الجناسِ عظيمَ حفظِ اللّهِ لكتابِه الكريمِ؛ فهو يشيرُ بحروفِه الكائنةِ في الفعلِ ﴿قُرِئَ﴾، والاسمِ ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ يشيرُ إلى بقاءِ حروفِه وحدودِه، فاللّهُ ﷻ، جعله يُقْرَأ على الأسماعِ، رُغْمَ اختلافِ الأصقاعِ والألسنةِ والأزمانِ والأحوالِ، ورُغْمَ كيدِ الأعداءِ، ومحاولاتِ الأغبياءِ.

سرُّ مجيءِ الجوابِ فعلًا دالًّا على الاستماعِ في قولِه: ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ﴾:

الاستماعُ أوّلُ درجاتِ سُلَّمِ العلمِ بعد الإخلاصِ

أوّلُ درجاتِ سُلَّمِ العلمِ - بعد الإخلاصِ - هو السَّماعُ، والمرادُ: فاستمعوا له استماعَ تحقيقٍ وقَبولٍ[1]، لأنَّ القارئَ كالحالبِ، والسّامعَ كالشّارِبِ، فهو أكثرُ فائدةً وثوابًا، وقد رأينا رسولَ اللّهِ ﷺ يعلِّمُ المسلمين، ويقرأُ لهم، بل يدعو أحسنَ القرّاءِ ليستمع من رسولِ اللّهِ ﷺ كما في حديثِ أبيّ، كما نراهُ في هذا الحديثِ يدعو أجودَ القرّاءِ عبد اللّه بن مسعود[2].

إيثارُ صيغةِ الأمرِ بالاستماعِ لا بالسَّماعِ:

لا تنفعُ القراءةُ حينَ تكونُ الأذنُ سامعةً، والقلبُ في صممٍ

والاسْتِماعُ: الإصْغاءُ، وصيغَةُ الافْتِعالِ دالَّةٌ على المُبالَغَةِ في الفِعْلِ، فهي تدلُّ على تعمُّدِ الاستماعِ، والسَّماعُ ممّا قد يحصلُ عن غيرِ عمدٍ، و"الفرقُ بين السَّمعِ والاستماعِ: أنَّ الأوَّلَ يحصلُ ولو بغيرِ قصدٍ، والثّاني لا يكون إلّا بقصدٍ ونيَّةٍ"[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 310/3.
(2) موسى لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم: 613/3.
(3) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 227/9.

نكتةُ إسنادِ الفعلِ إلى واوِ الجماعةِ:

في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ أُسنِدَ الفعلُ إلى الجماعة؛ للحضِّ على التَّدبُّرِ الجماعيِّ، وتدبُّرِ الاستماعِ والإنصاتِ، ومفادُ ذلك أنَّ ذكرَ الاستماعِ والإنصاتِ لآياتِ القرآن الكريم، يشيرُ إلى أنَّها لا تتجلَّى على تاليها بنورِها الوهّاجِ، ولا تدنّي إليه جناها الدّاني بأروعِ الأحكام وأجمل المعاني، إلّا إذا قدَّرها حقَّ قدرِها، وأحلَّها من قلبه ونفسه المكانة الَّتي تستحقُّها، وتوجَّه إليها بجوارحه وجوانحِه، وأفرغَ ذهنه من كلِّ خاطر وشاغل، وتفرَّغَ لها بالكليَّةِ، فآتته أكلها ضعفين، وانفتحَ له من سرِّها المكنونِ، وعطائها المخبوء بين اليقينِ والتَّأويل والظُّنون، ما يجعله لربِّه آويًا، وفي رحمته ثاويًا، فينالُ مفاتيح الفهومِ، ويرتادُ بها أنفس العلوم، ويحوزُ بها في الدُّنيا سعادة، وفي الأخرى ينالُ بها الحسنى وزيادة.

من أعطى القرآنَ كُلَّهُ؛ أعطاهُ القرآنُ بعضَهُ، ومن أعطاهُ بعضَهُ لم يعطِه شيئًا

دلالةُ عطفِ قولهِ: ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ على الجملةِ الَّتي قبلَهُ:

والإنْصاتُ: الاسْتِماعُ معَ تَرْكِ الكَلامِ، فهذا مُؤَكِّدٌ ﴿لَا تَسْمَعُواْ﴾، معَ زيادَةِ مَعْنًى، وذلك مُقابِلُ قَوْلِهِمْ: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت: 26]، ويَجوزُ أنْ يَكونَ الاسْتِماعُ مُسْتَعْمَلًا في مَعْناهُ المَجازِيِّ، وهو الامْتِثالُ لِلْعَمَلِ بما فيهِ كَما تَقَدَّمَ آنِفًا في قَوْلِه: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ﴾ [الأعراف: 198]، ويَكونُ الإنْصاتُ جامِعًا لِمعنى الإصْغاءِ وتَرْكِ اللَّغْوِ[1]، ولعلَّ هذا يفسِّرُ مجيءَ الإنصاتِ بعد الاستماعِ في آيةِ التَّركيبِ، كما يفسِّرُ الاكتفاءَ به في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف: 29].

الإنْصاتُ جامِعٌ لِمعنى الإصْغاءِ وتَرْكِ الانشغالِ عن القرآنِ

سرُّ تقديمِ الاستماعِ على الإنصاتِ في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾:

راعتِ الآيةُ الكريمةُ ترتيبَ الأفعالِ وفقَ الأحداثِ، فالاسْتِماعُ والإنْصاتُ المَأْمورُ بهما هُما المُؤَدّيانِ بالسّامِعِ إلى النَّظَرِ والاسْتِدْلالِ

الاستماعُ والإنصاتُ مراتبُ بحسبِ مراتبِ المستمعينَ في الإخلاصِ للهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 239/9.

والاهْتِداءِ بما يَحْتَوي عليه القرآنُ مِنَ الدَّلالَةِ على صدقِ الرَّسول ﷺ المُفْضي إلى الإيمانِ به، ولِما جاءَ به مِن إصْلاحِ النُّفوسِ، فالأمْرُ بالاسْتِماعِ مَقْصودٌ به التَّبْليغُ واسْتِدْعاءُ النَّظَرِ، والعَمَلُ بما فيهِ، فالاسْتِماعُ والإنْصاتُ مَراتِبُ بحَسَبِ مَراتِبِ المُسْتَمِعينَ[1].

فائدةُ قولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

أنَّهُ تَعالَى لَمّا عَظَّمَ شَأْنَ القرآن بقولِه: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 203]، أرْدَفَهُ بقَوْلِه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جملة الشَّرطِ السّابقة، والرَّجاء هنا حصولُ الفعلِ؛ لأنَّه صادرٌ مِنَ اللّهِ تعالى.

تحقُّقُ الرَّحمةِ وحصولُها، لقارئِ القرآنِ بتدبُّرٍ وإتقانٍ

دلالةُ (لعلَّ) وإيثارُ مجيئِها في قولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

وإيرادُ لَعَلَّ هنا للإشعارِ بعزَّةِ منالِ الرَّحمةِ، أي: لتكونوا على رجاءٍ من أن يكرمَكم ربُّكم، ويفعلُ بكم كلَّ ما يفعلُهُ الرّاحمُ مع المرحومِ[2].

اللهُ أرحمُ بعبادِهِ من الأمِّ بولدِها، وهو أرحمُ الرّاحمين

بلاغةُ الخطابِ بين التَّخصيصِ والتَّعميمِ:

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، هذا الخِطابُ شامِلٌ لِلْكُفّارِ على وجْهِ التَّبْليغِ، وللْمُسْلِمينَ على وجْهِ الإرْشادِ؛ لأنَّهُم أرْجَى للانْتِفاعِ بهَدْيِه؛ لأنَّ قَبْلَهُ قَوْلَهُ: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: 203]، ولئن عمَّتْ رحمةُ اللّهِ الكونَ برمَّتِه، ووسعتْ كلَّ شيءٍ، فهي مخصَّصةٌ للأتقياءِ من المؤمنين، كما وردَ في القرآنِ الكريم في قولِه تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: 156]، وقوله أيضًا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: 56].

رحمةُ اللهِ تطالُ كلَّ شيءٍ، وهي رحمةٌ عامّةٌ شاملةٌ إلّا من أبى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 239/9.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 209/8.

إيثارُ ذكْرِ الرَّحمةِ دونَ الفلاحِ أو غيرِه:

اقتضاءُ الرَّحمةِ في موقفِ الإقرارِ والإنكـارِ آثـرُ وأولى

قولُهُ تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي: تفوزونَ بالرَّحمةِ الَّتي هي أقصى ثمراتِه[1]، والمعنى باعتبار السّياقِ: "أصغوا إليه بأسماعكم لتفهموا معانيَهُ، وتتدبَّروا مواعظَهُ، وأنصتوا لقراءتِه حتَّى تنقضيَ إعظامًا له واحترامًا، لكي تفوزوا بالرَّحمة الَّتي هي أعظمُ ثمراتِه، لا كما يعتمدُهُ كفّارُ قريشٍ من قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصّلت: 26]"[2]، فهؤلاءِ الكفرةُ الفجرةُ يستحقّونَ العذابَ لا الرَّحمة، إلّا أن يتوبوا إلى اللّهِ، ويسلموا إليه.

سرُّ استعمالِ الفعلِ المضارعِ المبنيِّ للمفعولِ:

الرَّجاءُ في رحمةِ اللهِ من أقوى البواعثِ على تعظيمِ القرآنِ الكريمِ

في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بُنِي الفعلُ للمفعولِ للعلم بالفاعل؛ فلا راحمَ في الحقيقةِ غيرُهُ، أي: لتكونوا عند من يجهلُ العواقبَ على رجاءٍ من حصولِ الرَّحمةِ ممَّن لا راحمَ سواهُ[3].

دلالةُ الأمرِ بالاستماعِ والإنصاتِ عند قراءةِ القرآنِ:

الأولى هو الأخذُ بظاهرِ الآيةِ إلّا ما استُثْني وفقَ الضَّوابطِ والأصولِ

ظاهرُ النَّظمِ الكريمِ يقتضي وجوبَ الاستماعِ والإنصاتِ عند قراءةِ القرآن في الصَّلاة وغيرِها، وقيل: معناهُ إذا تلا عليكم الرَّسولُ القرآنَ عند نزولِه؛ فاستمعوا له، وجمهورُ الصَّحابة ﷺ على أنَّه في استماعِ المؤتمِّ، وقد روي أنَّهم كانوا يتكلَّمون في الصَّلاة، فأُمروا باستماع قراءةِ الإمامِ والإنصاتِ له، وعن ابنِ عبّاس ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ في المكتوبةِ، وقرأ أصحابُه خلفَهُ، فنزلت[4]. وقد اتّفق عُلماءُ الأُمّةِ على أنّ ظاهرِ الآيةِ بمُجرّدِه في صور كثيرة مُؤوّل، فلا يقولُ أحد منهم بأنّهُ يجبُ على كُلِّ مُسلِم - إذا سمع أحدًا يقرأُ القرآن - أن يشتغِل بالاستِماعِ، ويُنصِت؛ إذ قد يكونُ القارئُ يقرأُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 310/3.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 245/5.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 307/13.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 310/3.

بمحضَرِ صانِعٍ في صنعتِه، فلو وجب عليه الاستِماعُ لأُمِر بتركِ عملِه، ولكِنّهُمُ اختلفوا في محملِ تأويلِها، ولو قالوا: المُرادُ من قوله: ﴿قُرِئَ﴾ قِراءَةٌ خاصَّةٌ، وهيَ أن يَقْرأَهُ الرَّسولُ ﷺ على النّاسِ لِعلْمِ ما فيهِ والعَمَلِ به لِلْكافِرِ والمُسْلِمِ؛ لَكانَ أَحْسَنَ تَأْويلًا[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القراءةُ والتِّلاوةُ:

(قرأ) تُستعمل للقراءةِ من مكتوبٍ ومن غير مكتوبٍ بصوتٍ وبغير صوتٍ، فإذا عُدّيا بـ (على) فهما بصوتٍ ولا بدَّ في الأصل: "تلا" تستعملُ للقراءةِ من مكتوبٍ بصوتٍ، ويتسامحُ فيها، فتكونُ من غيرِ مكتوبٍ، لكن بصوتٍ، وقد أشارَ أبو هلالٍ إلى أنَّ التِّلاوةَ تكونُ في ما يطولُ، أي: يكثرُ من الكلام، وقال الرّاغبُ: إنَّ التِّلاوةَ أخصُّ من القراءةِ؛ لأنَّ التِّلاوةَ تختصُّ بما يُتْبَع، وقال في هذا السّياق: "فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً فإنَّه لا يقال: تلوْتُ رقعتكَ، وإنَّما يقال: في القرآنِ في شيءٍ إذا قرأْتَهُ؛ وجبَ عليك اتِّباعُهُ". وقال جبلٌ: إنَّ الأمرَ التبسَ على الإمام، فإنَّ الَّذي منع (تلوتُ رقعتَكَ) هو أنَّ التِّلاوةَ لا تكونُ إلّا بصوتٍ، والرُّقعةَ المُرسلةُ من شخصٍ إلى شخصٍ خاصَّةً، ليس الشَّأنُ فيها أن تقرأ علنًا، فهذا هو الَّذي منعَ لا أنَّ الرُّقعةَ ليست مما يُتْبع[2]. انتهى. وهذا وجهٌ وجيهٌ.

القراءةُ أعمُّ من التِّلاوةِ، وكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً

الاستماعُ والإنصاتُ:

الاستماعُ: هو قصدُ السَّماعِ بُغيةَ فهمِ المسموعِ أو الاستفادةِ منهُ، والإنصاتُ هو: السُّكوتُ للاستماعِ، يقالُ: أنصتُ؛ إذا سكتُّ سكوتَ مستمعٍ، قال الإمام النَّوويُّ: "والاستماعُ: هو شغلُ القلبِ بالاستماعِ والإصغاءِ للمتكلِّم، والإنصاتُ: هو السُّكوتُ"[3].

الاستماعُ عمليَّةٌ عفويَّةٌ بحاسَّةِ الأذنِ، والإنصاتُ مع تركيزِ العقلِ وانتباهِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 240/9، وقد فصَّل الفخر الرّازي الكلام في ذلك، فلينظر: الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 440/15.

(2) العسكريّ، الفروق اللغويّة، ص: 63 والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (تلو)، و(قرأ).

(3) النّوويّ، المجموع: 395/1.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»